المصدر : اكتوبر
التاريخ : ٢٣ مايو ١٩٩٩

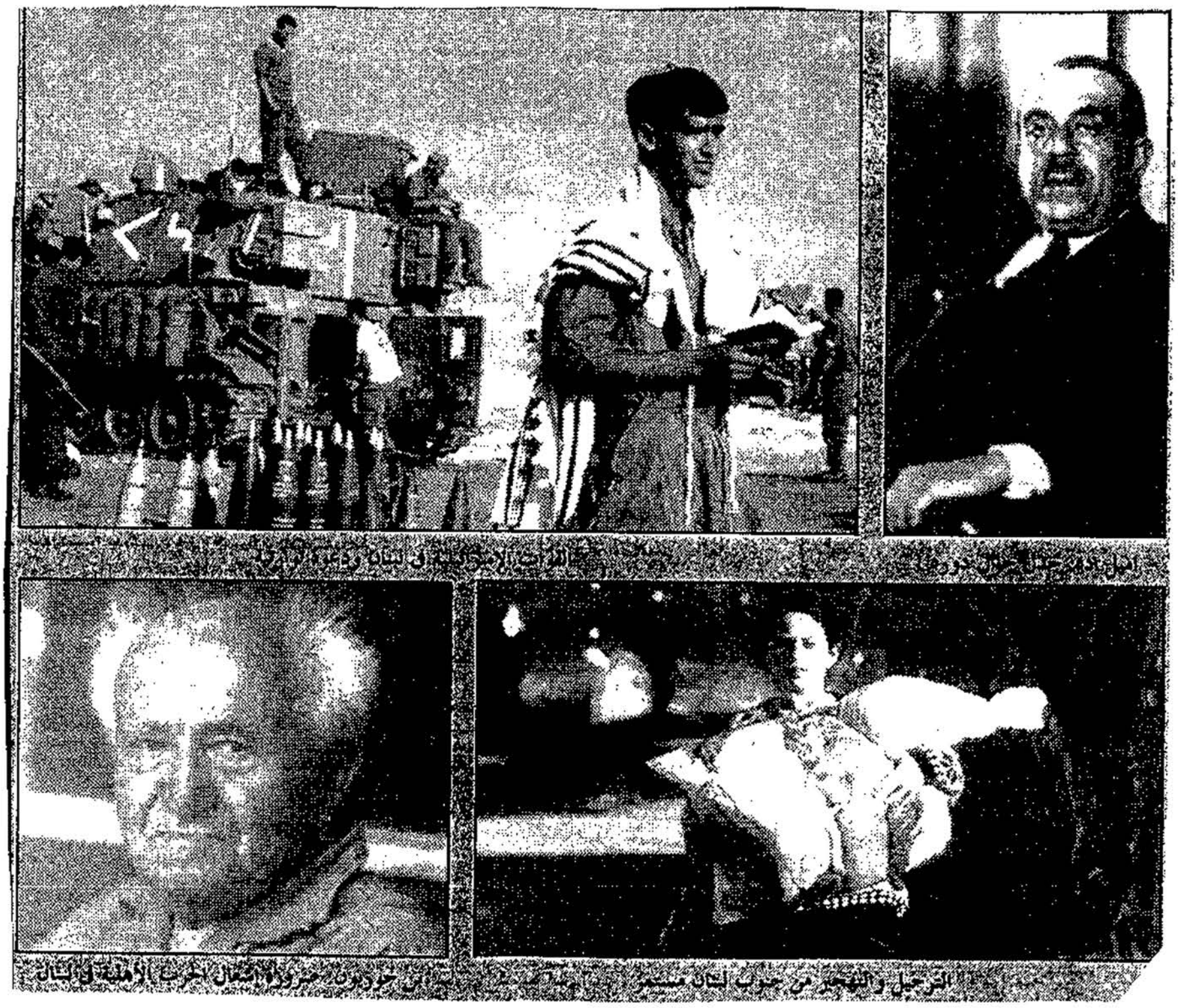

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بمناسبة قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨:

# نفتح ملف: «الجنوبى»

## حكاية أرض عربية محتلة جنوب لبنان

دراسة

**«لقد مر علينا عشرون عامًا. وغدًا يمر خمسون عامًا و(نحتفل) بالنكبة، كالفلسطينيين، فقد أصبحنا مثلهم».**

**هكذا قال أحد «المهجرين» اللبنانيين من (الجنوبى) ، وهو ما يطلق على الجزء الجنوبى المحتل من لبنان.**

■ لبنان «الجنوبى» لا يأخذ هذا الحيز الواسع من الدراسة والاهتمام مثل هضبة «الجولان» السورية أو «الضفة الغربية» الفلسطينية، أو كما أخذت «سيناء» المصرية، رغم أنه أرض عربية (محتلة) من قبل نفس (المحتل) لباقى الأراضى. ولبنان «الجنوبى» لم يتم احتلاله أيام النكسة فى حرب يونيه عام ١٩٦٧، لأن دولة لبنان رفضت أيامها الاشتراك في الحرب. ولكن هذا لم يوفر لها الأمان. وكل ما حدث هو أن الاحتلال الإسرائيلى لأراض لبنانية تأخر، حتى استقرت الأمور وبدأت إجراءات استعادة سيناء، فكان لابد من البديل، فتم احتلال «الجنوبى»، فيما سمى بـ«الاجتياح» بلغة السياسيين اللبنانيين، وكان ذلك عام ١٩٧٨ أى قبل واحد وعشرين عامًا. ولولا أن هناك مقاومة عنيفة مستمرة تشكلت فى «الجنوبى»، ربما ما كان هناك اهتمام واسع بهذا الاحتلال، تمامًا مثل « أم الرشراش » المصرية، التى مازالت فى أيدى الإسرائيليين، منذ

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

# أسيمة جانو

حرب ١٩٤٨، «حرب فلسطين».

## سرقة الأرض

□ الاحتلال هنا يأخذ معنى شديد الاختلاف عن أى احتلال آخر. فالاحتلال الإسرائيلى لجنوب لبنان، كما هو للضفة الغربية والجولان وقبلا لسيناء، يعنى (سرقة الوطن): بكل ما فى هذه الكلمة من معنى: سرقة الهوية وسرقة الأراضى وسرقة المياه من الأنهار، وأخيرًا سرقة التربة!

والمعنى هنا: «سرقة التربة» بالمعنى الحرفى للكلمة وليس مجازًا: فقد ذكرت صحيفة الإندبندنت البريطانية على لسان مراسلها المرموق «روبرت فيسك»، الذى يكاد يكون قد وهب قلمه «للجنوبى»، أن:

«إسرائيل تأخذ الأرض حرفيًا، أى تنقل تراب الأرض. وذكر بتاريخ ٥ نوفمبر من عام ١٩٩٨، أن:

«آلاف الأطنان من التربة اللبنانية الخصبة تنقل سرًا إلى إسرائيل من جنوب لبنان المحتل، لإخصاب أرض الجليل شمال إسرائيل.

وأن:

«البلدوزرات الإسرائيلية تمسح الأرض وتجرف التربة فى المزارع اللبنانية حول قرى خيسام ومرجعيون فى الجنوب المحتل، ليزرع الإسرائيليون الزيتون والطماطم على بعد ميلين فقط فى إسرائيل!

وأنه:

«قد تم نقل تربة خصيبة من (٣) آلاف متر مربع من جنوب لبنان إلى إسرائيل.

وأن:

«الأمم المتحدة، التى لديها أكثر من (٤) آلاف جندى لحفظ السلام هناك، تؤكد أن (التربة اللبنانية، تنقل إلى إسرائيل عبر الحدود.

وقد اشتكت الحكومة اللبنانية لمجلس الأمن بلا جدوى وللاتحاد الأوروبى حول هذه السرقة ولم يتحرك أحد.

وتذكر «الإندبندنت»، أنه طوال التاريخ البشرى، كان احتلال الأراضى واردًا، ولكن لم يسمع أحد حتى الآن عن نقل (التربة) بالمعنى الحرفى، عبر الحدود الدولية: وكذلك فإن الخرائط العسكرية، تؤكد أن التربة الحمراء الخصبة أخذت من الحقول من شمال خط وقف إطلاق النار المتفق عليه فى عام ١٩٤٨!

## تاريخ الطمع الصهيونى فى لبنان

أما لماذا كان هناك طمع صهيونى بلبنان، فإنه الجوار أولاً، ثم طبيعة التركيبة السكانية لشعب لبنان: ففى لبنان حوالى (٢٠) طائفة دينية وعرقية تقريبًا. أكبرها وأشهرها: الموارنة (المسيحيون)، والشيعة (المسلمون) والسنة (المسلمون)، ثم الدروز.

وهذه التركيبة أغرت الصهاينة باختراقها وتأليب بعضها على بعض:

□ ففى فبراير من عام ١٩١٩، بانتهاء الحرب العالمية الأولى وتقسيم الامبراطورية العثمانية المنهزمة، تقدمت الصهيونية العالمية بمذكرة إلى مؤتمر الصلح بباريس، تطالب أولاً بـ:

– إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين كلها، وكذلك على لبنان الجنوبى، بما ذلك صيدا وصور ومنابع نهر الأردن فى جبل الشيخ (فى سلاسل جبال لبنان بلبنان وسوريا) والجزء الجنوبى من نهر الليطانى اللبنانى.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

– وتشمل دولة إسرائيل المقترحة أيضًا: مرتفعات الجولان وينابيع الحمّة المعدنية (السورية) ونهر اليرموك (السوري).

وكذلك منطقة وادى الأردن (شرقًا وغربًا) والبحر الميت، والمرتفعات فى ضواحى عمان عاصمة الأردن إلى خليج العقبة.

دولة هائلة الحجم!! بلا شك.

فخريطة «دولة إسرائيل» هذه التى تقدمت بها المنظمة الصهيونية تشمل الجزء الجنوبى الغربى فى سوريا (حاليًا)، وجنوب لبنان كله حتى صيدا ونهر الليطانى، وكذلك نصف دولة الأردن (الحالية)، بحذاء الحدود المصرية جنوبًا!!

■■ بتاريخ (٢٤) مايو من عام (١٩٤٨)، بعد إنشاء دولة إسرائيل بأيام، كتب «بن جوريون» فى مذكراته، أن:

(الحلقة الضيقة فى الائتلاف العربى هى «لبنان»، ومن الضرورى إقامة دولة «مسيحية» موالية، يشكل الليطانى حدودها الجنوبية).

– وفى ٢٧ فبراير من عام (١٩٥٤)، طالب «بن جوريون»، بضرورة: (إشعال الحرب الأهلية فى لبنان، وخلق دولة مسيحية فيه).

– وفى ١٦ مايو من عام (١٩٥٤): طالب «موشى ديان» بشراء «ضابط» مسيحى، يقوم بالدور المطلوب وتقوم إسرائيل بالغزو، لإيجاد دولة مسيحية، ترتبط بإسرائيل وتضم «الجنوب» إليها.

– وفى محاضرة للسياسى والمفكر الإسرائيلى «أبا ايبان» فى جامعة كولومبيا الأمريكية عام (١٩٧٤)، اعتبر أن: (الحل الطبيعى يكمن فى تشكيل دويلات للأقليات الواقعة فى شمال إسرائيل.

– وفى صحيفة «معاريف» الإسرائيلية، دعا الصحفى «اربيه اينشتاين» إلى تفتيت الدول العربية وإقامة دويلات طائفية فى لبنان وغيرها (٢٠ سبتمبر ١٩٧٧).

– وفى مؤتمر الحركة الصهيونية العالمية، فى القدس عام (١٩٨٢)، أقرت الحركة خطة تقسيم لبنان إلى (٥) مناطق طائفية:

– وفى ١٦ مارس (١٩٨٣) قال الحاخام «شلومو الياهو» لليهود الشرقيين: (إن جنوب لبنان ملك لنا).

□ ومن أجل كل هذا:

كان الغزو الإسرائيلى فى عام ١٩٧٨ ثم ١٩٨٢ ثم ١٩٨٣ و١٩٩٣، وكذلك ما بين هذه الأعوام.. أيضًا.

■■ التركيبة السكانية التى يعتمد على اختراقها الإسرائيليون والصهاينة منذ زمن، تركيبة فسيفسائية أى قطع من الموزاييك المتداخل، من مختلف الطوائف والأديان، والمذاهب السياسية والدينية، الرسمية والميليشيات. وأية محاولة لفك هذه التركيبة، محاولة محكوم عليها بالفشل، لأن هذه التركيبة، قديمة:

١– فالموارنة، الذين يشكلون حوالى ٢٩٪ من السكان، هم طائفة مسيحية، ظهرت فى وادى العاصى فى الشمال الغربى لسوريا فى حوالى سنة ٤٠٠م، أى فى القرن الخامس، وفى عهد الحاكم الأموى «مروان بن الحكم» فى القرن الثامن الميلادى، نزح الموارنة إلى جبال لبنان واستوطنوها. وأول بطريرك وطد أسس الطائفة فى لبنان هو «مار يوحنا مارون» وسموا باسمه.

٢– الدروز: وهم فرقة باطنية إسلامية أسسها دَرزى حمزة، وهو من دعاة الباطنية (من المذاهب غير السنية)، وكان يساند الحاكم بأمر الله الفاطمى فى مصر (فى أول الألفية الثانية للميلاد، عام ١٠٠٠م)، وقد أسس درزى الفرقة بعد مغادرته مصر فى عام ١٠١٢م)، وانتشرت

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وايزمان: طلب ضم جنوب لبنان للأرض الموعودة

مبادىء الدروز (التوحيدية) فى سوريا، فى الشمال والغرب، وفى لبنان. ثم استوطن الدروز لبنان فى أواخر القرن الثانى عشر فى الغرب فى المتن وجبال الشوف. وهاجر عدد كبير منهم إلى سوريا فى أواخر القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر، وسكنوا المرتفعات الجنوبية السورية التى تعرف باسم جبال «حوران»، وسميت باسمهم: «جبل الدروز». وكان سبب خروج «درزى» من مصر، أنه التف حول الحاكم الفاطمى، «الحاكم بأمر الله»، الذى كان يميل لمذهب الإسماعيلية (الباطنى أيضًا)، وكان مذهبا جديدًا آنذاك، لكن المصريين لم يقبلوا المذهب، كما رفضوا المذهب الشيعى الفاطمى برمته، وبالتالى رفضوا «درزى حمزة»، وكانت المذبحة الشهيرة.

٣- الشيعة، المذهب الإسلامى المخالف فى بعض مبادئه للمذهب السنّى، وله فرق كثيرة، أشهرها الإثنى عشرية، وقد انتشرت بعض الفرق الشيعية فى لبنان، هربًا من ملاحقة الأمويين السنة، ومن بعدهم العباسيين، فى كل من دمشق وبغداد، وكان ذلك فى القرن السابع الميلادى، الثانى الهجرى، فكان استيطانهم لجبال لبنان، قديمًا.

وأهم معاقل الشيعة اليوم، تقع فى الجنوب اللبنانى، خاصة فى إقليم «صور»، وإقليم «بنت جبيل» بنسبة ٨٠٪، كما ينتشرون كأغلبية فى إقليم «النبطية»، الذى احتلت إسرائيل جزءًا كبيرًا منه. ويتوزعون أيضا فى مرجعيون فى الجنوب وعلى الحدود السورية على جبل الحرمون. وتصل نسبة الشيعة فى الجنوب المحتل إلى حوالى ٥٠٪، ونسبة المارونيين ٥٪، والمسيحيين الأرثوذكس فى الجنوب ٢٠٪. وهذا الانتشار للشيعة فى الجنوب له أهميته، فهم لب المقاومة هناك.

٤- هذا بالإضافة إلى المسلمين السنّة الذين يشكلون نسبة عالية من السكان. وكذلك «الأرمن» المسيحيون، والروم الكاثوليك، والروم الأرثوذكس.

## تدخل الاستعمار

هذه التركيبة (لم تكن) تعنى تفكك الشعب فى لبنان، الذى لم يستقل عن سوريا إلا حديثًا، فى الأربعينات من هذا القرن.

ففى عام (١٨٢٠م) اجتاحت لبنان ثورة شعبية احتجاجًا على محاولات الاستمالة التى قام بها محمد على باشا فى مساندة واضحة للأمير شهاب الثانى فى جبل لبنان، واستولى محمد على على سوريا.

لكن انتفاضة شعبية ثانية فى عام (١٨٤٠) أدت إلى تدخل القوتين العظميين آنذاك: بريطانيا وفرنسا:

فساندت بريطانيا الدروز، وساندت فرنسا الموارنة (ومازالت تساندهم حتى اليوم). وهذا التقسيم فى المساندة، أدى بالضرورة إلى تقسيم لبنان إلى إمارتين يفصل بينهما خط دمشق- بيروت: فكانت هناك إمارة شمالية يحكمها قائمقام مارونى وإمارة جنوبية يحكمها قائمقام درزى.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وفي كل إمارة مجلس يمثل كل الطوائف: الدروز والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والموارنة والشيعة والسنة.

□ وكان لابد مع كل هذا أن تقوم حرب أهلية، وكان ذلك بين عامي ١٨٥٩-١٨٦٠، وتدخلت بالطبع بريطانيا وفرنسا بنظرية جديدة هي: (النسبة العددية في في التمثيل) لمختلف الطوائف في وظائف الدولة والجيش والمناصب العليا. ووافقت الامبراطورية العثمانية التي كانت تحكم المنطقة آنذاك.

□ تغيرت الخريطة المرسومة بعد الحرب العالمية الأولى، التي تفككت بعدها الامبراطورية العثمانية ودخلت قدم الاستعمار الغربي الغليظة لتدوس المنطقة، فأصبحت سوريا وجبل لبنان لفرنسا، التي قامت بضم أجزاء من الجنوب إليها وهي صيدا وصور وطرابلس ووادي البقاع، ومعظمها إسلامية، فأصبحت الأغلبية السكانية التي تحت سيطرتها: مسلمة، بينما أصبح المسيحيون أقلية.

■ وبدأت لعبة التفرقة الدينية والتعصب للمذاهب الدينية تأخذ دورًا مسهمًا في تاريخ لبنان، وانتشرت الزعامات السياسية على أساس ديني ومذهب حتى صدر ميثاق عام ١٩٤٣، الذي قرر أن المسيحيين هم الأغلبية وبالتالي فإن رئيس الدولة يجب أن يكونَ مارونيًا (نظرًا لأكثريتهم بين المسيحيين)، وأن يكون رئيس الوزراء مسلمًا سنيًا (أيضًا بسبب أغلبيتهم بين المسلمين)، وأن يكون رئيس مجلس النواب مسلمًا شيعيًا، ووزير الدفاع درزيًا ووزير الخارجية من الروم الأرثوذكس!

وظلت هذه القائمة سارية، رغم التبدل في النسبة العددية في لبنان، بحيث رجحت كفة المسلمين وزادت نسبة الشيعة.

□ فكانت الأزمة اللبنانية الأخيرة في السبعينات، والحرب الطاحنة الأهلية التي ترتبت على هذه العددية الطائفية.

وزاد من إشعال هذه الحرب التي حيرت أكبر العقول السياسية والعسكرية، وجود عدد كبير من الفلسطينيين في لبنان، معظمهم من اللاجئين عام ١٩٤٨، ثم عام ١٩٦٧، ويعيشون في المخيمات في ضواحي بيروت والجنوب.

وأدت الحسابات الخاطئة من قبل معظم الأطراف، إلى قيام حرب شرسة في البداية، سميت «بحرب المخيمات»، كان الفلسطينيون طرفا فيها، وعاملا فاعلا شديد التأثير، فهناك مقار لمعظم الفصائل الفلسطينية السياسية أيضًا!

■■ ولعبت «إسرائيل» الورقة الرابحة في هذه الحرب:

ويذكر الخبير البريطاني بالشرق الأوسط «باتريك سيل»: (أن إسرائيل تريد من لبنان أن يكون «شرطيها في شمال إسرائيل)، وأنها (منذ قيامها على يد: بن جوريون»، حتى عهد «نيتانياهو»، يظل لبنان هو مفتاحها للهيمنة الإقليمية).

فقد كان «بن جوريون» هو واضع سياسة ما يسمى بـ «التفكير المحيطي» الذي يقوم على شقين:

أولهما: التحالف مع الدول المجاورة غير العربية: مثل تركيا وإيران وأثيوبيا.

وثانيهما: التحالفات الإقليمية مع الأقليات في العالم العربي: سواء كانت طائفية أو دينية أو عرقية (كالأكراد مثلا).

ومن هنا كان التفكير باستقطاب «موارنة» لبنان:

ويقول «سيل»، إن الوارنة أيدوا منذ عام ١٩٤٧، أي قبل نشوء إسرائيل، قيام دولة يهودية في فلسطين، وذكر أن «اميل اده» كان على اتصال برئيس المنظمة الصهيونية «حاييم وايزمان».

□ وهذا الدور الماروني، ذكره «ريمون اده»، عميد حزب الكتلة الوطنية اللبناني (الحالي)، وهو ابن «اميل اده»، وذلك في مقال في جريدة «الحياة» التي تصدر في لندن، يفسر فيه سر علاقة الاتصال بين الوارنة الممثلة في والده، وبين الصهيونية الممثلة في وايزمان.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وقال «ريمون اده»، إن (بعثة عسكرية فرنسية وصلت إلى لبنان في عام ١٨٦٠، لوضع حد للحرب الأهلية التي قامت بين الدروز والموارنة، ووضعت البعثة خريطة للبنان، مؤرخة سنة ١٨٦٢.

ويقول: «إنه بين عامي ١٩١٩- ١٩٢٠ كان والده «اميل اده» عضوًا في الوفد اللبناني إلى باريس لإقناع فرنسا، المنتدبة على لبنان، بالحفاظ على لبنان الكبير وجعله مستقلا عن سوريا.

وأثناء وجوده في باريس، استقبل الوفد اللبناني الثالث، برئاسة المطران «عبد الله الخوري»، حاييم وايزمان، رئيس الوكالة الصهيونية العالمية الذي طلب من الوفد اللبناني قبول تعديل حدود فلسطين الشمالية (يجب الانتباه إلى الصيغة في تعديل الحدود!»!!

وصرح «وايزمان» بأن «الصهاينة (أصدقاء) الموارنة ويريدون أن تكون لهم معهم حدود مشتركة».

وطلب المطران من «اميل اده» الحائز على شهادة من كلية الحقوق في جامعة «اكس أون بروفانس»، الفرنسية، أن يرد على «وايزمان». فأجاب «اده»، بأن الموضوع يتعلق بهذا الشكل، بضم لبنان «الجنوبي» لمصلحة الصهاينة حتى نهر الليطاني، حتى يتم وضع يدهم عليه وتحويل مياهه إلى بحيرة الحولة بفلسطين ومنها إلى بحيرة طبريا. (وقد حدث هذا فعلا فيما بعد).

وهكذا رفض الوفد اللبناني على لسان «اميل اده» التنازل عن الجنوب.

لكن إسرائيل، التي أصبحت دولة، قامت في ١٤ مارس ١٩٧٨ بالهجوم على لبنان الجنوبي حتى الليطاني، وحققت طلب «وايزمان» القديم عام ١٩١٩!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية